Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعاصرون : قابيل في مأتم هابيل

لا يستطيع أدونيس ، وهو يختار قصائد من بدر شاكر السياب (٣٩) بعد ثلاث سنوات من رحيله أن يتحرر من فكرة الموت في شعر السياب ، وتكريس فرديته .

فهو يلفت انتباهنا منذ السطر الثالث من مقدمته للمختارات الى قصيدة (القصيدة والعنقاء) التي يرى انها دليل على كون الشاعر والشعر لا يتحققان الا باغتسال (من ركام العادة) حيث يحترق الشاعر بناره وينبعث من رماده (٤٠)

إن علامة الولادة التي يبشر بها السياب ، هي علامة الحياة الجديدة ،لكنها – يقول ادونيس – (٤١) (علامة لا تأتي الا تتويجا لعلامة الموت التي تسبقها . لا بد اذن من الهبوط الى القرار والدخول في كون البذرة . لا بد من الموت . الموت هنا ضرورة وجود : وصلت حياة الشاعر الى حد لم يعد بإمكانها ان تتجاوزه . انتهت . وبالموت تنتقل الى الفعل من جديد . تنتقل من النهاية الى اللانهاية).

وهذه الرؤية تحكمت في المختارات ، فتغلبت نماذج فترة الاحتضار .حتى ان المختارات ابتدأت بقصيدة (القصيدة والعنقاء) التي تحدث فيها السياب عن جنازته ، وانتهت بـ (وصية من محتضر) التي يتنبأ فيها السياب بساعة موته . فالداء يقرض حبل حياته .. لكن علاقة السياب مع الموت ليست علاقة استسلام فيزيولوجية ، يتعطل فيها الجسد وتتهاوى الاعضاء . وليست علاقة ميثولوجية تسيطر فيها المعتقدات وحتمية الأقدار .. بل هي علاقة (حنين) .. فحنين السياب الى الموت موضوع كبير تنوعت عليه مضامينه في فترة مبكرة من حياته ..

لقد رأى ادونيس رحلة السياب انسياقا وراء اللقاء بالموت ، ضمن معادلة مفترضة مؤداها بعبارات أدونيس هو (المهد بداية اليقظة من السديم . اللحد نهاية اليقظة . في الحنين الى المهد حنين مضمر الى اللحد . في التطلع الى الحياة الأولى تطلع الى حدود لا تفصل عن الموت . تطلع الى الموت . المهد عتبة : نخرج منها الى الحياة ، ندخل منها الى الموت .)(٤٢)

وطبقا لهذا التشخيص ، جاءت المختارات التي ينتمي أغلبها الى مرحلة المرض والاحتضار كما قلنا . فقد توزعت القصائد المختارة كآلآتي :